هوامش

غوبلكي تبه هو موقع أثري يقعُ في ولاية شانلي أورفة التركية، اكتشفت فيه آثار تعود إلى الفترة المتأخرة من العصر الحجري، ليبدل كثيراً من المفاهيم والقناعات التاريخية

وصل عدد زوار غوبكلي تبه عام 2019 إلى نحو نصف مليون سائح (هايك فيدان/ وكالة الأناضول)

غوبكلي تبه

النقطة صفر لانطلاق التاريخ

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

يصف الدليل السياحي التركي، سردار دونميز، موقع «غوبكلي تبه» بولاية شانلي أورفة التركية، بأنه «فتح جديد لعلم الآثار وانطلاقة جديدة للتأريخ البشري»، لأن هذا الموقع يعطي فكرة مختلفة عن تاريخ بدايات الحضارة البشريَّة، إذْ يعود الموقع إلى 12 ألف عام، وهو أقدم من أهرامات مصر، ويفسر بالتالي بعض خفايا العصر الحجري. ويرى دونمير، خلال تصريحه لـ«العربي الجديد»، أن ضمّ الموقع إلى قائمة التراث العالمي قبل عامين، رغم أنه مدرج منذ عام 2011، سيعجّل من الاكتشافات وقدوم الزوار والباحثين، ليأخذ هذا الموقع حقه «لأنَّ تأخّر اكتشافه أثّر على أهميته، لكنه سيبدل كثيراً من المفاهيم والقناعات التاريخية».

واكتشف الموقع بالصدفة، ففي مطلع ستينيات القرن الفائت، عثر فلاح تركي أثناء حراثته الأرض على هيكل أثري غريب، فسلّمه للمسؤولين بولاية أورفة الذين عرفوا أنه «تحفة تعود إلى 12 ألف عام»، لتبدأ بعد ذاك، عام 1963، رحلة التنقيب من باحثين أتراك من جامعة إسطنبول وأميركيين من جامعة شيكاغو، لتتوالى المفاجآت واكتشافات الآثار، وأهمها ما اكتشف عام 1995، وهي المسلات الحجرية على شكل حرف T بطول 6 أمتار ووزن 60 طناً، وتعودُ للعصر الحجري الحديث.

وعندما يقال عن المسلات بأنها الأهم، فهذا لا يعني التقليل من شأن بقيّة الاكتشافات، وفي مقدمتها أطلال معبد غوبكلي تبه، والذي يعد من أقدم دور العبادة في العالم، أي أنه أقدم من أهرامات مصر وآثار ستونهنج الموجودة جنوب غربي بريطانيا، بنحو 7 آلاف و500 عام، وهذا ما يبرر وصف الباحثين المكان بأنه: «النقطة الصفر لانطلاق البشرية».

وأمام تهافت السياح والمؤرخين والباحثين، أطلقت تركيا على العام الماضي 2019 عام غوبكلي تبه، بعد اعتبار المنطقة أهم الآثار الثقافية بتركيا. وقال الرئيس التركي التركي، رجب طيب أردوغان، خلال افتتاح الموقع في مارس/ آذار العام الفائت: «إن مرور الزمن يوضح كيف أن الأراضي التي نعيش عليها مهد لا مثيل له للحضارات والتاريخ والثقافة، بلادنا متحف مفتوح».

وأكد أردوغان أهمية موقع «غوبكلي تبه» الأثري، قائلاً إن اكتشافه يتطلب إعادة كتابة تاريخ البشرية، ومضيفاً أنه أصبح مرجعاً جديداً يوضّح عمق جذور حضارات الأناضول. وبيّن أن موقع «غوبكلي تبه» يحمل أهمية كبيرة للعديد من العلوم، على رأسها الآثار والأنثروبولوجيا وعلم تاريخ الأديان، ففيه أقدم مكان عبادة في التاريخ، ويظهر أن البشر لم ينتقلوا إلى حياة الاستقرار قبل تشييد مبانٍ ترمز لمعتقداتهم الدينية، وإنما تم الأمر بشكل عكسي.

بدوره، يؤكد جلال أولوداغ، رئيس فريق التنقيب في غوبكلي تبه، مواصلة أعمال الحفر والتنقيب، بحساسية بالغة، نظراً لأهمية المنطقة وما تضمه من آثار مهمة. وأشار أولوداغ، خلال تصريحات صحافية سابقة، إلى أن إعلان الرئيس أردوغان 2019 «عام غوبكلي تبه» انعكس بشكل إيجابي ليس على ولاية شانلي أورفة فقط، بل على المناطق والولايات المحيطة بها أيضاً.

وفي شانلي أورفة، حيث تفاصيل الوجود الإنساني، ثمة نقاط جذب عديدة رشحت المنطقة لأن تصبح أبرز الوجهات السياحية الثقافية في تركيا، لدرجة أنها تصدرت مؤخراً قائمة المناطق التي لا يمكن التخلي عن زيارتها لدى الشركات السياحية، فأن يصل عدد زوار غوبكلي تبه، عام 2019، إلى نحو نصف مليون سائح، فهذا ما سيزيد إنعاش ولايات جنوب شرق بعمومها.

بقي أن نقول إن شكل مكتشفات موقع غوبكلي تبه بات يلهم صناع الحلي في تركيا، لتصنيع مجوهرات مستوحاة من الآثار فيها، إذْ باشر القائمون على ورشة المجوهرات لدى «معهد النضج» في غازي عنتاب، تصنيع حلي ومجوهرات مستوحاة من أشكال آثار غوبكلي تبه وزبوغما التاريخيتين. واستهدف المشرفون على هذا المشروع بخطوتهم هذه، التعريف بإحدى أهم الوجهات السياحية والتاريخية في تركيا، والمساهمة في تزيّن النساء بالمجوهرات التي تحمل أشكال آثارها. مديرة «معهد النضج» خديجة قوتسال، تقول: «نعمل على نقل الفنون اليدوية التقليدية، وثقافات الحياة المتنوعة من الماضي إلى يومنا هذا، لتأمين استمراريتها على مر الأجيال المختلفة». وأضافت أنهم قاموا ضمن هذا الإطار بالعمل على تحضير مجموعة من الحلي والمجوهرات وهدايا تذكارية مستوحاة من أشكال آثار غوبكلي تبه. وأوضحت أنهم يواصلون اللقاءات والتشاور مع بلدية شانلي أورفة الكبرى، من أجل تحديد تاريخ لإطلاق هذه الأعمال بشكل رسمي.

باختصار

يعود الموقع إلى 12 ألف عام، وهو أقدم من أهرامات مصر، ويفسر بالتالي بعض خفايا العصر الحجري لتبدأ رحلة التنقيب بعد ذلك عام 1963

■■■

اكتشف الموقع بالصدفة، ففي مطلع ستينيات القرن الفائت، عثر فلاح تركي أثناء حراثته الأرض على هيكل أثري غريب

■■■

شكل مكتشفات موقع غوبكلي تبه بات يلهم صناع الحلي في تركيا، لتصنيع مجوهرات مستوحاة من الآثار فيه

وأخيراً

الحكم العثماني ليس استعماراً

خطيب بدلة

أثارت مقالةُ كاتبِ هذه الأسطر «سورية ليست عظيمة» المنشورة الأسبوع الماضي (2020/8/30) في «العربي الجديد» ما كان متوقعاً من ردود أفعال، وبالأخص ملاحظتي إن «الدولة العثمانية ليست دولة احتلال، كما تصورُها المناهج المدرسية البعثية، فلو كانت احتلالاً لثار عليها بعض الناس مثلما ثاروا على فرنسا، ولَمَا صبروا على حكمها أربعمئة سنة». وبالتدقيق في العبارة، يتضح أنها تحتاج إلى توضيح فوري، وهو أنني، أخاكم، لا أنظر إلى الدولة العثمانية أنها جيدة، وحضارية، بل ربما أعاق قيامُها قبل 500 سنة احتمالَ أن تذهب بلادُنا في مفترق حضاري آخر.. ولكن المقصود أن غالبية الناس قبلوا بها لأسباب دينية. ولا يخفى أن أحمد عزت العابد (الدمشقي) وأبا الهدى الصيادي (المعرّاوي) كانا مستشاريْن للسلطان عبد الحميد، وكانت لهما صلاحيات واسعة.

لم يرفض الشعب السوري (إذا صحّت هذه التسمية) الدولة العثمانية مثلما رفض الاحتلال الفرنسي، ومشروعَ الدولة الصهيونية لاحقاً، فقد تصدّى لقوات الجنرال غورو عشية وصولها إلى دمشق 1920، وجَنّد الجيوش لإنقاذ فلسطين فور إعلان قرار التقسيم في مايو/ أيار 1948، بينما استمرت الدولة العثمانية 400 سنة، كانت خلالها تقوى وتضعُف، تزدهر وتتأخر، ومع ذلك لم تقم ثورة شاملة عليها، بل عصيانات وتمرّدات متفرّقة لم تشكل ظاهرة تاريخية. أما التصادم الحقيقي فقد وقع بعد وصول الطورانيين إلى السلطة، وإعلانهم العداء للعنصر العربي، بدءاً من سنة 1909، فتأسست جمعية العربية الفتاة مقابل تركيا الفتاة، وظهرت دعواتٌ إلى المقاومة، منها قول جميل صدقي الزهاوي: «بني يعربٍ لا تأمنوا التركَ بعدها».. ولم يأخذ هذا الصراع أبعاداً خطيرة، لأن الإمبراطورية العثمانية انتهت مع نهاية الحرب. جاء في الفصل الثالث من كتاب الأديب الباحث محمد كامل الخطيب «وردة أم قنبلة - إعادة تكوين سورية 2006»، الصفحة 49، أن هناك خطأً شائعاً في الأدبيات القومية العربية، وصف الأتراك بالمستعمرين، ووصف الفترة العثمانية بـ الاستعمارية. وهذا، برأيه، خطأ علمي منهجي، يأتي في باب تفسير الماضي بالحاضر. ويوضح الخطيب أن العثمانيين هم إحدى الأسر الحاكمة في الإمبراطورية الإسلامية، مثلهم مثل العباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك، واللاحم لتلك الدولة هو الدين. يمكن مناقشة الفكرة ذاتها من زاوية أخرى، بطرح السؤال: كيف نفسّر أن معظم الرجال الذين ملأوا المقاعد السياسية في سورية، بدءاً من 1918 وحتى 1958، كانوا من الدارسين في مدارس المملكة العثمانية، وجامعاتها؟ أحمد قدري، وهو من مؤسسي جمعية العربية الفتاة في سنة 1911، ومن أركان الدولة الفيصلية لاحقاً، كان قد درس في إسطنبول. وهاشم الأتاسي الذي

> الشعب السوري لم يرفض الدولة العثمانية مثلما رفض الاحتلال الفرنسي، ومشروعَ الدولة الصهيونية لاحقاً

شَكّل الحكومة السورية، وصار رئيساً لسورية أكثر من مرة حتى لُقب «أبو الجمهورية»، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في حمص، ثم انتقل إلى إسطنبول، حيث درس الإدارة العامة في الأكاديمية الملكية، وتخرج منها سنة 1895. محمد علي العابد أول رئيس لسورية (1932) كان يعمل في السلك الدبلوماسي، وعين سفيراً للسلطنة العثمانية في أميركا. رئيس وزراء سورية أكثر من مرة، فارس الخوري، كان نائباً عن مدينة دمشق في «مجلس مبعوثان».. وحتى الذين ثاروا على الفرنسيين، ومنهم مثلاً إبراهيم هنانو، درس في إسطنبول، وعُين بوظيفة قائمقام بالقرب من إسطنبول، ثم في نواحي أرظروم، وتزوج تركية، وحينما ثار على الفرنسيين كان يستمد الأسلحة والعتاد من الأتراك. وكان هنانو رئيس ديوان ولاية حلب. أما والي حلب رشيد طليع، وهو من دروز لبنان، فهو خرّيج جامعة دار الفنون في إستانبول (إسطنبول)، وقد شغل عدة مناصب حكومية رفيعة في الدولة العثمانية، منها متصرف حوران، ومتصرف طرابلس الشام، ومتصرف اللاذقية.

أخيراً؛ وفي كل الأحوال، هذه قراءة في تاريخٍ مضى، قد تصيب وقد تخطئ.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**